من الاسباب والنتائج بل كانوا يتناولونها كأقاصيص متفرقة لا رابطة بينها . حتى جاء كونت ليبين فساد مزاعمهم في هذا الصدد وجعل التاريخ من اكبر مآخذ العلم الاجتماعي وحيث رأى حادثة شذت عن قوانين الطبيعة البشرية حكم باختلال تدوينها

والخلاصة ان اوغست كونت وضع اصول العلم الاجتماعي — كما قال استوارت ميل — واذا كان لم يوجد ذلك العلم فانه حبا من بعده من الفلاسفة قوة لايجاده وطريقته المثبتة في العلوم الطبيعية واصول التحليل التاريخي ستخلد اسمه بين مشاهير الفلاسفة

دمشق   جرجي الحداد

مشاهير العرب والصناعات

وليس على عبد تقي نقيصة   اذا صحح التقوى وان حاك او حجم
(ابو العتاهية)

يتوهم بعض الكتاب ان العرب اهملوا الصناعات بل استنكفوا عنها لانهم لم يقولوا (آل الحائك) خشية تحتم المقال والحقيقة ان قدماء العرب لم تنصرف الكرام الى الحياكة في زمان بداوتهم لانهم لبسوا جلود الحيوانات وابتاعوا منسوجات غيرهم ولم يمتهنوا الحياكة الا انهم عرفوها بعد ذلك واشتهروا بكثير منها ونقل الافرنج عنهم ما تفننوا به منها مثل الموركو والكوردوفان لنوعين من الجلود التي دبغها العرب الاول في مراكش والثاني في قرطبة . والدامسكو للنسيج الدمشقي الشهير . والدامسكين للترصيع المعدني الدمشقي والموصلين لنسيج عرفت به الموصل وصناعة الشفار والسيوف التي اخذتها من دمشق الى غير ذلك مما لا يحصى . ولهم تآليف كثيرة في الصناعات يحضرني منها الآن اسم رسالة للكندي في المعادن والجواهر وانواع الحديد والسيوف وجيدها ومواضع نسبتها . ورسالة اخرى فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنثلم ولا تكل للكندي ايضا . وغيرهما كثير لا محل لذكره الآن . ولقد ذكر جاهليو العرب بعض الصناعات في اشعارهم مثل قول طرفة بن العبد البكري من معلقته مشبهاً الناقة :

كقنطرة الرومي أقسم ربها   لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وقوله :

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر   كسبت اليماني قده لم يجرد

وقوله :

وعينين كالماويتين استكنتا   بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

ومن اقدم صناعاتهم الغزل وقد ذكروه كثيراً في اشعارهم مثل قول النابغة :

وعريت من مال وخير جمعته   كما عريت مما تمر المغازل

وهذه الصناعة عرفت قديماً وذكرها كثير من الاعاجم مثل قول هوميروس في الالياذة بلسان هكطور بطل طروادة عند توديع زوجته اندروماك وطلبها منه ان لا يسير الى الحرب من موشح بليغ :

ولكن عودي فامضي كفى   واشغلي الاعمال ربات السديل
فلك النسج وفتل الغزل   ولنا اعمال سمر الذبل

ووصف هيلانة تطرز برداً في قوله :

وجدتها بالصرح تنسج ثوباً   بحواشي البرفير والارجوان
ورأس الخياط ترسم فيه   وقعات ابلت بها الفتيان (1)

وقال ابو العلاء المعري (2) في النساء :

علموهن الغزل والنسج والردن   وخلوا كتابةً وقراءه

وقال نحوه ملتن كبير شعراء الانكليز مايقرب من هذا الى غير ذلك

وفي صدر الاسلام اعتبر الخلفاء الصناعات بدليل قول الامام عمر بن الخطاب : « اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول اله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني » : وقول موسى الهادي الخليفة العباسي لامه الخيزران لما استبدت بالامر وكثر المختلفون اليها لقضاء المآرب : « ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك · اما لك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك او بيت يصونك » · وكثيراً ما ذكر الشعراء بعد ذلك الصناعات ولو على سبيل المجاز مثل قول ابن نباتة في الطي والنشر :

لا تخف عيلةً ولا تخش فقراً   يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا   تلك غزالة وذي نباله

---

(1) هذه الابيات من الالياذة العربية بقلم سليمان افندي البستاني

(2) راجع ترجمة المعري في السنة الماضية (الخامسة) من مجلة المقتبس بقلم كاتب هذه المقالة

وقد مارس الخلفاء والصحابة والامراء والاشراف والائمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم ومكانتهم وازمنتهم صناعات كثيرة جمعت الآن منهم ما وصلت اليه يد البحث تذكرة لقوم يعقلون :

كان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان وطلحة بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف بزازين وعمر بن الخطاب دلالاً تاجراً . والوليد بن المغيرة وابو العاص اخو ابي جهل حدادين . والنضر بن الحرث عواداً يضرب بالعود . والعاص بن وائل السهمي بيطاراً يعالج الخيل . وابنه عمرو بن العاص جزاراً ومثله الامام ابو حنيفة وقيل كان خزازاً يبيع الخز (وهو الشيء يقع في التصحيف) . والزبير بن العوام خياطاً ومثله عثمان بن طلحة الذي دفع له النبي مفتاح الكعبة وهكذا قيس بن مخرمة . وكان مالك بن دينار وراقاً والمهلب بن ابي صفرة بستانياً . وقتيبة بن مسلم الذي فتح بلاد العجم الى ماوراء النهر جمالاً . وعقبة بن معيط خماراً وسعد بن ابي وقاص بارياً للنبال . وابو سفيان ابن حرب يبيع الزيت والادم . وعبد الله بن جدعان نخاساً يبيع الجواري . والحكم ابن ابي العاص خصاء يخصي الغنم ومثله حريث بن عمرو والضحاك بن قيس الفهري وابن سيرين

وكان سفيان بن عيينة معلماً ومثله الضحاك بن مزاحم وعطاء ابن ابي رباح والكميت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفي الشهير وعبد الحميد بن يحيى امام المترسلين وابو عبيد القاسم بن سلام والكسائي مؤدب الامين والمأمون وكثير غيرهم ممن مارسوا التدريس والتهذيب وكانت هذه الصناعة تسمى عندهم صناعة الاشراف . وكان ابو يوسف الفقيه قصاراً يبيض الثياب وابو العتاهية الزاهد يبيع الجرار بالكوفة فسمي الجرار . وابو تمام الشاعر كان سقاء وقيل كان حائكاً . والمتنبي ابن سقاء في الكوفة . والعكبري في اول امره خصافاً ثم صار نحوياً . وحماد عجرد الشاعر كان نبالاً . وابو اسحق ابراهيم الحصري كان يعمل الحصر ويبيعها وابو اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج النحوي كان يخرط الزجاج وابو الحسن السري الرفاء الشاعر كان يرفو ويطرز وابو بكر عبد الله القفال المروزي الفقيه يعمل الاقفال . وابو الحسن الماوردي الفقيه كان يبيع ماء الورد . وابو الحسن علي بن هلال كان ابوه بواباً فسمي بابن البواب . وابو القاسم الزاهي الشاعر كان قطاناً (يبيع القطن) . واحمد بن محمد الطوسي الغزالي واخوه الامام الغزالي الشهير كانا [illegible] وينسبان الى عمل الغزل على طريقة النسبة عند الخوارزميين اذ يقولون القصاري والعطاري في القصار والعطار .

وابو بكر الزاهر بن محمد السلطان الجعلي المصري كان يبيع الحمص . وابو غالب عرف بالتياني اللغوي القرطبي كان يبيع التين . وابو القاسم الجنيد لقب بالخزاز والقواريري لانه كان يعمل الخز ووالده عمل القوارير . وابو علي الحسين الكرابيسي الفقيه نسبته الى بيع الكرابيس وهي جمع كرباس بالفارسية يعني الثياب الغليظة وهي اسمه بالعامية خام . وابو محمد بن مسعود الفراء البغوي الفقيه كان يعمل الفراء ويبيعها . وابو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد حلاج القطن نسب اليه . ومؤيد الدين الطغرائي نسب الى كتابة الطغراء . وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات باع الزيت ومثله كثيرون لقبوا بلقبه مثل محمد بن الزيات وزير المعتصم وغيره . وابو عمرو خليفة بن الخياط العصفري نسب الى الخياطة والصبغ بالعصفر . وابو المعالي سعد بن علي المعروف بالحظيري (بالظاء المشالة) وراق لقب بصناعته دلال الكتب . ورشيد الدولة فضل الله الهمذاني طبيب خربنده التتري كان في اول عمره عطاراً يدور بمحلات البلد . وابو منصور عبد الملك الثعالبي نسب الى خياطة جلود الثعالب وعمل فرائها . وابو القاسم عثمان الانماطي الفقيه كان يبيع الانماط وهي البسط التي تفرش . وابو عمرو عثمان بن الحاجب كان والده حاجباً للامير عز الدين موسك الصلاحي . وابو الحسن علي بن عبد الله السمسمي اللغوي نسب الى السمسم . وابو الحسن علي بن الحسن القاضي لقب بالخلعي كان يبيع الخلع لاملاك مصر . وابو الحسن بن وصيف الحلاء الناشئ الاصغر كان جده وصيف مملوكاً وابوه عبد الله عطاراً وهو حلاء لصنعته على الحلي الحلبية المزين . وابو القاسم عمر الخرقي الفقيه نسب الى بيع الخرق اي قطع الثياب البالية . وابو القاسم عمر بن محمد المعروف بابن البزري نسب الى عمل البزر وهو عندهم اسم الدهن المستخرج من حب الكتان وبه يستصبحون اي يسرجون المصابيح . وكان ابن سيرين الشهير بتعبير الرؤيا ابن صانع قدور من نحاس . وابو عمر المطرز الباوردي غلام ثعلب كان مطرزاً . وكان والد [illegible] الشاعر الاديب تاجراً يتردد الى الفرس ويصيد اللؤلؤ من [illegible] . و[illegible] بن عبد الله [illegible] كان ابن صيدلاني . وابو بكر الرازي الطبيب كان في اول امره صيدلانياً . وابو الحرم مكي الضرير المقرئ النحوي كان ابن صانع اقفال . و[illegible] الشاعر كان يعمل [illegible] بعد الهجرة . وابو الفرج محمد [illegible] كان [illegible] في دار الطبع بدمشق [illegible] الفواكه . وكان بشار ابن برد الشاعر الشهير ابن طيان [illegible]

بصناعته واخواه بشر وبشير كانا قصابين . وضياء الشاغوري لقب المعلم لانه كان يعلم اولاد الملوك . وابو محمد القاسم الحريري نسب الى بيع الحرير او عمله . والقاضي ابو بكر محمد الباقلاني البصري نسب الى بيع الباقلى . وابو الحسين الجزار الشاعر المصري تعاطى الجزارة . وسراج الدين الوراق الشاعر الوراقة . وابو الفضل بن عبد الكريم الحارثي الدمشقي لقب بالمهندس لحذاقته في الهندسة وكان في اول امره نحات حجارة ونجاراً واكثر ابواب البيمارستان النوري الذي بناه نور الدين بن زنكي الملقب بالعادل في دمشق من نجارته وصناعته وقد درس اقليدس في نفسه واصلح الساعات في جامع دمشق وكان له على مراقبتها راتب خاص . وابو زكريا يحيى البياسي الاندلسي الطبيب قطن دمشق وعرف النجارة واشتغل بالآلات الهندسية وكان عواداً وعمل الارغن . والبديع الاسطرلابي كان يعمل الآلات الفلكية ولا سيما الاسطرلاب . وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي البغدادي العالم نسب الى نقش السقوف والحيطان لممارسته ذلك وحذقه به . وابو العباس محمد بن صبيح المعروف بابن السماك الكوفي الزاهد نسب الى صيد السمك وبيعه . وابو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج نسب الى عمل السروج . وابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي الملقب بالقزاز القيرواني نسب الى عمل القز وبيعه . ومعاذ بن مسلم الهراء كان يبيع الثياب الهروية فنسب اليها . وابو منصور الجواليقي نسب الى عمل الجوالق وبيعها . وابو يزيد وثيمة الوشاء كان يتجر بالثياب المصنوعة من الابريسم الموشاة . ومحمد بن رضوان بن الرعاد كان خياطاً واقتنى مكتبة من صناعته . وشمس الدين الدهان الدمشقي الشاعر كان يمارس صناعة الدهان . والنصير الحمامي كان يحترف باكتراء الحمامات ويستجدي بشعره . وابو بكر محمد بن احمد بن محمد المعروف بابن الحداد الفقيه الشافعي المصري نسب الى احد اجداده الذي كان يعمل الحديد ويبيعه . وابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بالصيرفي الفقيه الشافعي البغدادي نسب الى الصرافة . وابو عبد الله محمد بن الكناني الشامي المعروف بابن الكيزاني الشاعر كان بعض أجداده يعمل الكيزان ويبيعها فنسب اليها . وابو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن الرداد المؤذن المصري عمل المقياس بمصر في اثناء القرن الثالث للهجرة . ونجم الدين المنجنيقي الشاعر كان في اول امره جندياً مقدماً في المنجنيقيين ببغداد فنسب اليه ومن لطيف منظومه قوله :

كلفت بعلم المنجنيق ورميه   لهدم الصياصي وافتتاح المرابط

وعدت الى نظم القريض لشقوتي   فأحرق بالطاين من قصد حائطا

ويحيى النحوي الاسكندراني كان ملاحاً الى ان بلغ الاربعين من عمره فمال الى العلم والفقه . وكان علي بن رضوان الطبيب ابن فران . ومن اغرب العلماء ارباب الصناعات كشاجم الشاعر فان اسمه منحوت من صناعاته فالكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من اديب والجيم من منجم والميم من مؤدب الى غير ذلك

ومن متأخري العلماء من نسب الى الصناعات مثل القزديري وابن الطباخ وابن العطار والاسطواني وابن الكيال وابن السقاف وابن السمان وابن الخباز وغيرهم كثير

وممن لقبوا بالصناعات ولا نعلم اذا كانوا قد عالجوها ابو جعفر احمد المرادي النحاس النحوي المصري . وابن الخياط الدمشقي . وابو بكر بن عياش بن سالم الحناط الاسدي الكوفي . وابو محمد سعيد بن الدهان النحوي البغدادي . وابو القاسم الاسكافي . وظافر الحداد الشاعر الاسكندري . وابن الدهان الموصلي المعروف بالمهذب . وابن شاهين المعروف بالخلال . وابن الخشاب البغدادي . وابو نصر عبد السيد ابن الصباغ الفقيه . وابو القاسم علي بن القطاع الصقلي النحوي . وابو الحسن علي بن الصفار [illegible] . وابو بكر المبارك المعروف بابن الدهان النحوي الضرير الواسطي . وابو بكر محمد بن باجة الاندلسي المعروف بابن الصائغ الفيلسوف . وابو عبد الله محمد الرفاء الاندلسي الرصافي الشاعر . ويحيى بن الجراح الكاتب . وموفق الدين النحوي المعروف بابن الصائغ الحلبي . وابو المحاسن شهاب الدين الشواء الحلبي الشاعر . وابن النجار الدمشقي الشاعر . وابو علي الحائك وقيل المنار ابو الحسين غلام البوصيري المصري الشاعر الرحال . وبكر بن علي السابوني . ويموت بن القواس الشاعر . وابن البيطار النباتي الشهير . وعبد الله بن محمد العربي الملقب بالعطار الشاعر . وعبد الحق الاشبيلي المعروف بابن الخراط . وعبد الرزاق بن احمد الصابوني المحدث المؤرخ الفيلسوف . وابو بكر الوراق التيمي . وابو المعالي البقال الاديب . وابن الصفار القرطبي . وابو حفص الشطرنجي شاعر المهدي وابنته علية . وابو عبد الله البغدادي النقاش الشاعر . ومجاهد بن سليمان المعروف بالخياط الشاعر . ومحمد بن احمد المعروف بابن الحداد الشاعر . ومحمد بن احمد بن الصابوني الصدفي الاشبيلي . ومحمد بن داود بن الجراح الكاتب . والحافظ الكبير ابن النجار البغدادي واضع تاريخ بغداد المطول . وهبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان الشاعر البغدادي . فضلاً عن كثير من ارباب الصناعات الأُخر مثل ابي عبد الله

الفرضي الحاسب . وابن بائس عمرو بن الفارض الشاعر . وابن المعلم الواسطي الشاعر . وابن الدهان البغدادي الفرضي الحاسب . والبتاني الراصد وغيرهم كثير

ومنهم من تدل اسماؤهم على انهم من ارباب الصناعات وهم لم يتعاطوها مثل ابي سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني فانه لم يكن خلالاً ولكنه كان يجلس الى محل الخلالين قرب داره بالكوفة فلقب بالخلال . ومثل ابي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي النحوي البغدادي الذي لم يشتغل بالزجاج ولكنه صحب ابا اسحق ابراهيم بن السري الزجاج فنسب اليه . وابو سعيد الصدفي لم ينسب الى صناعة الصدف بل الى الصدف بن سهل وهي قبيلة كبيرة حميرية هبطت مصر . وكثير من العلماء لقبوا بالعسكري ولم يكونوا عساكر ولكنهم نسبوا الى (سر من رأى) الملقبة بالعسكر حيث نشأوا لان المعتصم لما انتقل اليها بعسكره قيل لها العسكر ومنهم ابو الحسن العسكري من اهل القرن الثاني للهجرة . ومنهم من سموا باسم عسكر مكرم من كور الاهواز مثل ابي القاسم محمد العسكري وغيره . وابو الحسن الكسائي لم ينسب الى عمل الكساء بل لانه دخل مرة على حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتف بكساء وقيل بل أحرم في كساء فنسب اليه . وابو زيد محمد القاشاني لم يصنع القاشاني المشهور ولكنه نسب الى مسقط رأسه قاشان في بلاد فارس . وكمال الدين الفراوي نسب الى فراوة في خوارزم لا الى الفراء ومن النكت بهذا الصدد انه قيل عنه (الفراوي الف راوي) . وابو بكر الآجري الفقيه لم ينسب الى صناعة الآجر (القرميد) ولكن الى قرية آجر من قرى بغداد . وابو بشر محمد الرازي الدولابي لم يصنع الدولاب ولكن نسب الى الدولاب وهي قرية من الري وصناعته كانت الوراقة فلقب بالوراق . وابو بكر محمد الصولي الشطرنجي توهم بعضهم انه وضع الشطرنج أو صنعه والصحيح انه اشتهر باللعب فيه . والفراء النحوي المشهور الكوفي كان يفري الكلام ولم يشتغل بالفراء فعرف بهذا اللقب وابو عمرو بن دراج القسطلي نسب الى قسطلة في الاندلس لا الى عمل القساطل لبيعها . وابن الصدفي المصري الفقيه لم يعمل الصدف بل لسبب آخر سمي بالصدفي وهو انه صدف بوجهه مرة فلزمه هذا اللقب . ومحمد بن الحسن الصائغ العروضي لا علم له بالصناعة وانما يقرئ الناس فلقب بالصائغ الى غير ذلك وهم كثيرون

هذا ما وصلت اليه يد الاستقراء الآن من صناعات المشاهير عند العرب جمعته تبصرة وذكرى لمن يتوهمون ان الصناعة تزري بالعلماء والأدباء والمشاهير . على ان الافرنج كثيرو

اولع بالصناعات مما سأفرد له مقالة خاصة ان شاء الله في فرصة أخرى - ولقد اعرضت عن مشاهير المعاصرين واسماء الأمور التي تنسب الى الصناعات وهي كثيرة في بلادنا قريبة العهد فلا حاجة الى وصفها - فحبذا لو كثر الميل الى اسباب العمران بين ظهرانينا وولع مواطنونا بالصناعات ونحوها مما يوفر الدراهم ويشغل الاوقات ويعود على البلاد بالنفع والا فان اقتصارنا على العلوم النظرية والكمالية جمود فلنتخذها مفتاحاً للعلوم الطبيعية :

زراعة وصناعة وتجارة تجد البلاد تقدماً وفلاحا
اسباب عمران فشيد صرحها وخذ العلوم لنيلها مفتاحا

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

دقائق عربية

لا مراء ان من يشتغل بالكتابة ويتوغل في المطالعة يمر به من صور التراكيب ومن الالفاظ المفردة ما يريبك ذهنه فاذا راجع كتب النحو وكتب اللغة فلا يهتدي الى ما يجلو له وجه الصواب فان علماء العربية على كثرة ما الفوا في علمي الصرف والنحو واللغة تراهم قد اغفلوا من القواعد والتنبيهات والمفردات ما قد ترى مفصله في كتب الشروح او في الكلام القديم كما ذكرت ذلك في مقالة بهذا العنوان نشرت في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف وقد اجتمع لديّ كثير من هذه الدقائق لم ادخرها لنفسي بل احببت نشرها رغبة في ان يكون للأدباء من ورائه نصيب فائدة وابتغاء تخليص العبارة من خلل الخطأ فان في بعض المنشورات الحديثة ما ينفطر له قلب البلاغة وتدمع له عين الفصاحة واكثر نصيب لتلك المنشورات مما تشوه به محاسن البيان اختلاط الغث بالسمين فبينا تمر فيها بالبليغ اذا بك قد وقعت في اركك تركيب حتى ان المنشورات العامية العبارة اخف جناية على الفصاحة مما يجتمع فيه الصحيح بالمعتل فيلتبس على الضعفاء من اهل الادب العليل بالصحيح والخطأ بالصواب فيتخذون الخطأ صواباً والعليل صحيحاً وتلك رزية كبيرة على الفصاحة فمن هنا تعلم ان نشر مثل هذه المقالات المبينة للمناقص والمبينة لمهم هي أوسع فائدة واجل نفعاً وارفع شأناً من تأليف كتاب في علم قد صارت المؤلفات فيه تربي على الالوف كما هي الحال في علم العربية